لانهم يدعون انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البنا للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف
والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم وبين رسول الله انه
ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما
طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك
شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما
اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها
تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول
ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما
اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك
الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب
الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام
شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته
ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع
من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله
عليه السلام يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن
مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها
قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت
لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على
رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك
ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما
من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر
ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم
وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان
العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين
لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن
ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والحب في الله
والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة

عن موالاة الكافرين



عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله
في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه
متنافيان قال وتود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان
تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم
في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء
وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا
تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن
وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية
الكفار او غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء
قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه
لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة
بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان
تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد
السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن
اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم
السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير
في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره
اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح
ان يكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية
الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم
تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا
في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره
نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه
دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد
انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد
لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد
فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم
ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله
ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله
وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله

Copyright @ King Saud University